

إن مع العسر يسراً... إن مع العسر يسراً

الاستاذ/ أشرف شعبان

أن ترحمني، فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام مخبره بأمر الله تعالى: فإن عقوبتك أن تلبث في السجن بضع سنين. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي رحمه الله تعالى ج٩ ص٢٤٤-٢٤٥.

بينما من يأمل في الله تجده إذا حارب كان واثقاً بالنصر لأنه مع الله فالله معه ولأنه لله فالله له قال تعالى: ﴿إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾ (سورة الصافات آية ١٧٢-١٧٣) وإذا مرض لم ينقطع أمه في العافية ﴿الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطمئني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (سورة الشعراء الآيات ٧٨-٨٠) وإذا اقترب ذنبا لم يئأس من المغفرة ومهما يكن ذنبه عظيماً فإن عفو الله أعظم قال تعالى في (سورة الزمر آية ٥٢) ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفُسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ وهو إذا أعسر لم يزل يؤمل في اليسر قال تعالى في سورة الانشراح آية ٥ و ٦ ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع اليسر يسراً﴾ وهو إذا انتابته كارثة من كوارث الزمن كان علي رجاء من الله أن يأجره في مصيبتيه ويخلفه خيراً منها ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (سورة البقرة آية ١٥٦-١٥٧) وهو إذا عادى أو كره كان قريباً إلى الصلة والسلام راجياً في الصفاء والوثام مؤمناً بأن الله يحول القلوب ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾ (سورة الممتحنة آية ٧) وهو إذا رأى الباطل يقوم في غفلة الحق أيقن أن الباطل إلى زوال وأن الحق إلى ظهور وانتصار ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ (سورة الأنبياء آية ١٨) ﴿فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ (سورة الرعد آية ١٧) وهو إذا أدركته الشيخوخة واشتعل رأسه شيباً لم ينفك يرجو حياة أخرى فيها شباب بلا هرم وحياة بلا موت وسعادة بلا شقاء قال تعالى في (سورة مريم آية ٦١-٦٢) ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً، لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيا﴾.

المراجع

- ١- عدة الصابرين، للإمام ابن قيم.
- ٢- لا تحزن، للشيخ عائض القرني.
- ٣- أدب الدنيا والدين، للإمام الماوردي.
- ٤- كيف تنال السعادة الحقيقية، لسعيد عبد العظيم.
- ٥- المبشرات بانتصار الإسلام، والإيمان والحياة، للقرضاوي.

وذاك أصم وأخر أعرج وثن مقعد... الخ. لو علم أن الأمل أملان، أمل في الله وأمل فيما سواه وخير الأمل ما كان في الله سبحانه وتعالى وشرف الأمل ما كان في سواه، فمن يأمل في غير الله مهما كان المأمول فيه مال أو منصب أو صديق أو هيئة أو دولة فقد يخيب أمه ويفشل مراده، وقد ضرب الله تعالى لنا في القرآن الكريم مثلاً في هذا قال تعالى في سورة يوسف آية ٤٢ ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ فقد أنسى الشيطان، سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام ذكر الله عز وجل، وذلك عندما قال سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام لساقى الملك حين علم أن الساقى سينجو من السجن ويعود إلى حالته الأولى مع الملك قال له ﴿اذكرني عند ربك﴾ نسى سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت أن يشكو إلى الله ويستغيث به ووجع إلى الاعتصام بمخلوق فعوقب باللبث. روي أن جبريل عليه الصلاة والسلام جاء ليوسف الصلاة والسلام فعاتبه عن الله تعالى في ذلك وطول سجنه، وقال له: يا يوسف ﷺ من خلصك من القتل من أيدي

علم أن مع العسر يسراً كما أخبر الله تعالى بذلك في سورة الشرح آية ٦٥ قال تعالى ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾ كما قال تعالى في سورة الطلاق آية ٧ ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ وروى أبو داود وابن ماجه قوله عليه الصلاة والسلام «واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً» وقال ﷺ أيضاً: «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه» وعن الحسن أنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول «لن يلقب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً» تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله تعالى ج٢ ص٥٢٥.

ولينظر كل منا إلى حياته وسيجد مصداق هذه الآية ملء عينيه وهي لا تحتاج إلى دليل لإثبات صدقها، فقد يصاب الفرد بما يعسر عليه جانب أو أكثر من جوانب حياته، ولكنها تيسر له في جوانب أخرى، فعلى سبيل المثال تعسرت الدعوة على الرسول صلى الله عليه وسلم في بدء الأمر بمكة وطرد منها، ومن ثم تيسرت له في المدينة إقامة دولة ملأت سمع التاريخ وبصره، وسجن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وجلد فصار إمام أهل السنة والجماعة، وحسب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فأخرج من حبسه معلماً جماً وجل فتاويه كتبها وهو محبوس، ووضع الإمام السرخسي رحمه الله تعالى في قعر بئر معطلة فألف عشرين مجلداً في الفقه، وأقعد الإمام ابن الأثير رحمه الله تعالى فصنف جامع الأصول والنهاية من أشهر وأنفع كتب الحديث، ونفى الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى من بغداد فجود القراءات السبع. وكثير من علماء عصرنا ممن ذاع صيتهم لما تيسر لهم من تفوق بل ونبوغ في مجال العلوم الشرعية أو الدعوية أو الوعي أو التربية أو الفكر أو الأدب، تعسر عليه الحصول على شهادة علمية أمثال الشيخ ابن باز والألباني وأبي زهرة والمودودي والندوي وجمع كثير غيرهم رحمهم الله تعالى جميعاً.

وكثير من أذكاء العالم ويجور الشريعة أصابهم العمى كابن عباس وقتادة وابن أم مكتوم والأعمش ويزيد بن هارون رضي الله عنهم أجمعين، وكثير من العلماء كانوا موالى كعطاء وسعيد بن جبيرة وقتادة والبخاري والترمذي وأبي حنيفة رحمهم الله تعالى جميعاً، وكثير ممن أثروا في التاريخ وأثروا في حياة البشرية بالعلوم والاختراعات والكشوف من أذكاء ومخترعين وعابرة كان بهم عاهات فهذا أعمى

عصرنا ممن ذاع صيتهم لما تيسر لهم من تفوق بل ونبوغ في مجال العلوم الشرعية أو الدعوية أو الوعي أو التربية أو الفكر أو الأدب، تعسر عليه الحصول على شهادة علمية أمثال الشيخ ابن باز والألباني وأبي زهرة والمودودي والندوي وجمع كثير غيرهم رحمهم الله تعالى جميعاً.

أخوتك؟ قال يوسف عليه الصلاة والسلام: الله تعالى، قال جبريل عليه الصلاة والسلام: فمن أخرجك من الحب؟ قال يوسف عليه الصلاة والسلام: الله تعالى، قال جبريل عليه الصلاة والسلام: فمن عصمك من الفاحشة؟ قال يوسف عليه الصلاة والسلام: الله تعالى، قال جبريل عليه الصلاة والسلام: فمن صرف عنك كيد النساء؟ قال يوسف عليه الصلاة والسلام: الله تعالى، قال جبريل عليه الصلاة والسلام: فكيف وقفت بمخلوق وتركت ربك فلم تسأله؟ قال يوسف عليه الصلاة والسلام: يا رب كلمة زلت مني!! أسألك يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام